

## الفصل الخامس

### علاقة العلم بالدين

« هذب النفس بالعلم لترقى  
انما النفس كالزجاجاة والعقل  
فترى الكل فهو للكل بيت  
سراج ، وحكمة الله زيت  
واذا اظلمت فانك ميت »

الشيخ الرئيس على بن سينا

الفيلسوف الاسلامى

— « ان العقل اذا لم تصاحبه في مسيرته روح مؤمنة تنير له ظلمات  
دروبه ، وتربطه الى المساء بخيوط الايمان والنور والصفاء ، فان العقل  
عندئذ يسقط سقطة كبرى يصبح فيها ملهاة ، فلا يكون له بغير الروح  
منجاة » ..

كاميل فلاهريون

— « العلم والايمان متفتان على مكافحة الجمود العثلى مهما يكن ،  
واخشى ما نخشاه هو التحجر الذهنى الذى ينزل بالعلم من مسقرى العزة  
الى مستوى « الدوجماتية » ، وينزل بالايمان الى مستوى التقليد الاعمى » .

عبد الوهاب بوحدية

— لا بديل عن العلم ، لا بديل عن الايمان ومن الخير ان تنبعث النهضة  
من اصولنا وجذورنا . وان نتخذ من الدين دافعا قويا ومن المنهجية  
العلمية اسلويا .

د . عبد العزيز كامل



## العلم والدين .. أحقا بينهما صراع ؟

### نشأط رقم « ٩ »

« اثار تأييد جاليليو (١) لنظرية كوبر نيكاس Copernicus في دوران الارض حول الشمس وتأكيدده لها ثائرة المحكمة الدينية المعروفة بديوان التفتيش The Inquisition فقرر الديوان ان الراى القائل بأن الشمس هى المركز ، وأنها لا تدور حول الارض رآى سخياف وباطل ، وفيه خروج على العقيدة الدينية ، لانه رآى مناقض لما جاء فى الكتب المقدسة ، وتبع ذلك صدور امر من البابا باستدعاء جاليليو الى المثول امام ديوان التفتيش للتتصل من ذنبه والرجوع عن خطئه ، ولقد حكمت المحكمة على جاليليو بالسجن فى ديوان التفتيش مدى الحياة ، وخرج جاليليو من المحكمة وهو يقول كلمته المشهورة : ( ومع ذلك فهى تدور ) .

وتحكى قصة جاليليو هذه كثيرا للدلالة على ان انعام والدين يتصارعان دائما ، فهل حقا هما كذلك ؟ ما رايك انت ؟ ..

ربما تكون قد تسرعت فى الاجابة عن السؤال المطروح فى نهاية نشأط رقم « ٩ » وجاء رايك مؤكدا على ان هنالك صراعا بين العلم والدين . انك عندئذ قد تكون فى حاجة الى التفكير فى قصة جاليليو مرة اخرى ، وبامعان أكثر .

هل سمى محاكمو جاليليو الى سماع ادلته العلمية على صدق نظرية كوبرينكاس ؟ ذلك لم يحدث فى الواقع :

(١) جاليليو هو أحد العلماء الايطاليين — عاش فى الفترة من ١٥٦٤م — ١٦٤٢م . وقد وضع بعض القوانين الخاصة بحركة الاجسام مثل القانون القائل بأن الجسم يستمر متحركا فى خط مستقيم بسرعة مطردة اذا لم يتعرض لمؤثر خارجى ، وهو صاحب تجربة برج بيزا الشهيرة والتي اثبتت فيها ان الاجسام مهما اختلفت اوزانها تسقط فى وقت واحد .

ثم ما النص الوارد في الكتب المقدسة الذي ينفي صدق نظرية كوبرنيكاس ؟ وإذا كان هناك نص فهل تأويل هذا النص وتفسيره صحيح (١) ؟ .

ان الصراع لا ينشأ - عادة - بين جوهر العلم وجوهر الدين .  
وانما ينشأ الصراع بين رجال العلم ورجال الدين ! .

والسؤال الان : لماذا ينشأ الصراع بين رجال العلم ورجال الدين (٢) ؟ .

ان هذا الصراع ينشأ لاسباب عديدة ، تذكر منها ما يلي :

### ١ - التنازع على السلطة والحكم :

فعلى سبيل المثال : لقد خاف رجال الدين المسيحي من فقد سيطرتهم على الناس والهيمنة عليهم مع ازدهار العلم ابان القرن السابع عشر ، لقد راوا في العلم العدو الذي سوف يفتقدهم سلطانهم ( انظر محمد حسين هيكل ، ١٩٧٨ ) وقصة جاليليو المذكورة اعلاه قد تعدد مثالا لهذا النوع من الصراع .

### ٢ - سوء فهم بعض العلماء للدين :

فبعض العلماء يرى ان حقائق الدين لا سبيل الى مشاهدتها وفحصها تجريبيا وبالتالي فهي باطلة ، وهذا يثير حافظة رجال الدين ، الذين يتهمون أعداءهم - عادة بالاحاد .

(١) يرفض قلة من رجال الدين الاسلامي الاخذ بحقيقة « كروية الارض » مستقدين في ذلك الى تفسير خاطيء للاية الكريمة : « والارض مددناها » غير ان الشيخ محمد متولى الشعراوى ( ١٩٨١ ، ص ٩٢ ) قد دحض تفسيرهم هذا ، واكد ان كلمة مددناها تعنى بسطناها فإينما يسير الانسان فنان الارض مبسوطه امامه ، وهذا لا يحدث الا اذا كانت الارض كروية . وواو كانت الارض غير ذك لوصلنا الى حافة .

(٢) من اجل مزيد من التفاصيل عن صراع رجال العلم والدين انظر اميل بوترو ( ١٩٧٣ ) ، عبد الله العمر ( ١٩٨٣ ) ، عبد الغنى عبود ( ١٩٧٧ ) .

## ٣ - رفض رجال الدين لنتائج العلم :

تبنت الكنيسة في فترة من فترات حياتها آراء أرسطو ، تبنتها في الطبيعة وفيما بعد الطبيعة .

وما كانت آراء أرسطو في يوم من الأيام ديناً وكان للكيسة - فضلا عن ذلك - آراء آمنت بها تتعلق بالعالم الطبيعي ولا أساس لها في الدين المسيحي .

وحينما تبين العلماء من خلال المراضد والمعامل والتجارب في القرن السابع عشر وما بعده - زيف هذه الآراء ، بدأ الصراع ، فلقد رفض رجال الدين ما وصل اليه العلم ، وبدأ الصراع ، والذي نكل فيه بالعدد من العلماء ( انظر عبد الحليم محمود ، ١٩٧٩ ) .

## ٤ - محاولة رجال العلم للبحث في أمور يعتبرها رجال الدين من المقدسات :

ولعل خير مثال على ذلك ما يقوم به علماء الهندسة الوراثية(١) اليوم من محاولات لتكوين كائنات جديدة ، وتغيير بعض الصفات الوراثية للكائنات الحية بما فيها الانسان ، وهو امر يعده بعض رجال الدين تبديلا لخلق الله ينبضى التمردى له .

فلقد عقد في عام ( ١٩٨٣ ) مؤتمر في الولايات المتحدة الأمريكية ضم جميع الطوائف الدينية فيها ، ولقد صدر بيان عن هذا المؤتمر موجه للكونجرس الامريكى ( ما يقابل مجلس الشعب عندنا ) يطلب منه التدخل فوراً لاصدار تشريعات تقضى بمنع العلماء من مواصلة تجاربهم التى يمكن ان تؤدى الى تغيير الصفات الادمية التى توارثها الانسان جيلا بعد جيل ( انظر مجلة العلم ، ١٩٨٣ ، ص ٥٢ ) .

الآن : نأتى الى سؤال هام هو : هل للاسلام موقف من قضية الصراع بين العلم والدين ؟ ..

(١) عام الهندسة الوراثية هو احد علوم الوراثة المعاصرة وتدور معظم الأبحاث في هذا العلم حول فكرة قطع جزء من كروموزومات أحد الكائنات الحية وايصاله بأحد كروموزومات كائن. حتى آخر من نفس النوع او نوع مختلف عنه .

ان قضية الصراع بين العلم والدين هي قضية وأفددة للبلاد  
الاسلامية ، وهي قضية لم يعرفها علماء المسلمين وفلاسفتهم وأطبائهم ،  
ولم ينكل بأحد علماء المسلمين يوماً سواء بالنفى أو بالحرق أو بالسجن ،  
بئسما فعلت محاكم التفتيش بالعلماء في القرون الوسطى ( عبيد الحليم  
محمود - ١٩٧٩ ) .

## ما علاقة العلم بالدين ؟

### نشاط رقم « ١٠ »

أى العبارات الآتية يمثل رأيك فى العلاقة بين العلم والدين :

١ - علاقة العلم بالدين علاقة افتراس (١) ، فالعلم سوف يفترس الدين  
أو العكس أى أن الدين سوف يفترس العلم ؛ مثلما يفترس القط  
الفار .

٢ - لا توجد ائنى علاقة بين العلم والدين ؛ فلكل مجاله وإهدافه ؛  
فهما مثل نباتين يتغذيان تغذية ذاتية (٢) كل فى حقله دون أن يحتاج  
إيهما للآخر ، مثل نباتى التمح والفول مثلا .

٣ - علاقة العلم بالدين هي علاقة تكافل (٣) حيث يتعايشان ويتبادلان  
المنفعة ولا يعود على أى منهما ضرر ، وهما فى ذلك مثل البكتيريا  
المعدية ونبات الفول .

(١) الافتراس : نوع من التغذية يقوم فيها الكائن المفترس بمهاجمة  
كائن حى آخر ، ويقضى عليه ليتغذى به أو بأى جزء من جسمه .

(٢) التغذية الذاتية : نوع من التغذية يقوم فيها الكائن الحى  
بتحويل المواد الأولية البسيطة الى مواد عضوية معتدة ، وذلك بمساعدة  
طاقة خارجية من الشمس أو التفاعلات الكيميائية ، وهذا النوع اختص  
به معظم النباتات .

(٣) التكافل : أن يعيش كائنان معا ، ويتبادلان المنفعة ، أى يستفيد  
كل منهما من الآخر ولا يعود على أى منهما ضرر ، ولا يستغنى أحدهما  
عن الآخر .

— أظنك قد استبعدت من تفكيرك تماما « العبارة الأولى » كعبارة تعبر عن العلاقة بين العلم والدين ، فلقد قلنا مسبقا : انه لا يوجد صراع بين العلم والدين ، كما أن القول بانفتراس العلم للدين أو العكس فيه مغالطة كبرى ، فمنذ متى قضى العلم على الدين أو قضى الدين على العلم ؟ .

— اذا كنت اخترت « العبارة الثانية » لتمثل العلاقة بين العلم والدين بمعنى أنك ترى انفصالا تاما بين مجالى العلم والدين ، ومن الافضل أن يظلا كذلك فلا نتحم الدين فى العلم أو العلم فى الدين ، واننا — كعلمين — لا ينبغي أن نتعرض لاية مسائل دينية فى حصص العلوم — فنحن علميون داخل معامل علوم المدرسة ، ومتدينون داخل المسجد .

اذا كنت كذلك فاعلم أنك لست وحدك الذى تنادى بمثل هذا الانفصال بين العلم والدين ، فهناك كثيرون مثلك فى العالم اليوم منهم الفلاسفة والعلماء والمعلمون وغيرهم . . فهل أنتم على حق ؟ .

— اذا كنت قد اخترت « العبارة الثالثة » لتمثل العلاقة بين العلم والدين فهذا يدل على فهم عميق — ان تشبيه هذه العلاقة بحالة التكافل « القائمة بين كائنين حيين — البكتريا المتعدية ونبات الفول . تشبيه مناسب جدا يمكنك استخدامه فى شرح هذه العلاقة لتلاميذك فالكائنان الحيان هنا مختلفان . ولكل منهما تركيبه وخصائصه المميزة ، وهذه حالة العلم والدين غير أن اختلافها لا يمنع أبدا أن يتبادلا المنفعة (١) . فما المنفعة التى يمكن أن يقدمها العلم للعلم والدين ؟ .

دعنا ننظر — أولا — ماذا يمكن أن يقدم الدين للعلم ؟ .

١ — ان الدين يدعو الى العلم ، ويحضى عليه ، ويرفع من مكانة العلماء ويوفر بذلك للعلم المناخ الثقافى الذى ينمو فيه .

تأمل أقوال الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى دعوته الى العلم :

---

(١) من أجل مزيد من التفاصيل عن العلاقة بين العلم والدين ، راجع : عبد المنعم خلاف ( ١٩٧٦ ) ، محمد يحيى هيك ( ١٩٧٨ ) ، عبد العظيم محمود ( ١٩٧٩ ) ، عبد الفنى عبود ( ١٩٧٧ ) ، عبد الله العمر ( ١٩٨٢ ) ، أميل بوترو ( ١٩٧٣ ) .

« طلب العلم فريضة على كل مسلم » ..

« اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » ..

« من اراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ومن ارادها معا فعليه بالعلم » ..

ثم انظر في الايات الاتية لتدرك كيف رفع الاسلام من مكانة العلماء :

— « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات »

( المجادلة : ١١ )

— « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

( الزمر : ٩ )

وقد دعا القرآن الانسان الى البحث والتفكير في ظواهر الكون :

— « قل سبحوا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله

ينشئ النشأة الآخرة ، ان الله على كل شيء قدير »

( العنكبوت : ٢٠ )

— « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات

لاولى الاباب » ..

( آل عمران : ١٩٠ )

— « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ،

والى الجبال كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت » ..

( الفاشية : ١٧ — ٢١ )

فهل وضع الاسلام اى قيد على حرية العقل في البحث العلمى ؟

---

دعوة القرآن للعلم امر لا يختلف عليه ، وعلى القارىء ان يبحث

عن مزيد من الاسانيد عن هذه الدعوة في عبد الحليم محمود ( ١٩٧٩ )

، محمد متولى الشعراوى ( ١٩٨١ ) .

هل هناك آية أو حديث نبوي يقف حائلا أمام العلماء في البحث عن ظواهر الكون (١) ؟ .

الم يزدهر العلم في عصور الإسلام الأولى ، وقد أعطى للبشرية زادا ما زال الكثيرون يتحدثون عنه الى اليوم ؟ .

يقول : « سديو » في كتابه تاريخ العرب :

« كان المسلمون في القرون الوسطى متقدمين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم الى أوروبا ، فكانوا سببا لنهضتها وارتقائها » ( نقلًا عن حسنين نعيم ، ١٩٨٢ ، ص ٧٧ ) .

ورب مجالد يقول الآن : ان الدعوة للعلم ليست قاصرة على الدين وحده فالفلانتفة والسياسيون والمصلحون الاجتماعيون — حتى المحدودين منهم — يدعون ايضا الى العلم ، ونقول لمثل هذا الجادل : نعم ، نحن نوافقك في ان الداعين للعلم كثيرون ، ولكن من منهم يؤثر اكثر في المجتمعات المتدينة مثلنا ، هل يؤثر القائل بكلام البشر ام القائل بكلام الله ورسوله ؟

ايها يكون تأثيره قويا في مثل مجتمعاتنا ؟ . .

ان دعوة الدين الى العلم ، ورفع مكانة العلماء ، وحثه على البحث في ظواهر الكون لخلق بتهيئة المناخ الثقافي المناسب لنمو العلم في مجتمعنا الاسلامي . فبدون هذا المناخ قد لا يتقدم العلم خطوة واحدة .

٢ — يمكن للدين — ايضا — ان يسدي للعلم خدمة عظيمة فيما يتعلق بالقيم Values — فمن طريق الدين يمكن تربية كثير من القيم التي يحتاجها العلماء مثل :

الموضوعية ، الدقة العلمية ، التواضع (٢) . تأمل مثلا حديث

(١) انظر حديث الرسول — عليه السلام — « انتم اعلم بأمور دنياكم » .

(٢) تناولنا هذه القيم من قبل عند حديثنا عن معايير العلم في الإسلام .

الرسول - صلى الله عليه وسلم - « تناصحوا في العلم ، فان خيانة في العلم أشد من خيانة في المال » . .

ليس في هذا الحديث تأكيد على الالتزام بالدقة العلمية ؟ .

ولعل من أبرز القيم التي يمكن أن ينميها الدين قيمة : « نفعية العلم » وهي قيمة قد لا تنمو من خلال ممارسة العلم وحده ، لأن العلم قد اختار لنفسه طريق الحياد من موضوع الضرر والنفع ، الخير والشر ، كما سبق إيضاح ذلك (١) .

ان تنمية قيمة « النفعية » لدى العلماء لخلق ان ينقذ البشرية جمعاء من دمار محقق .

ان الدين يمكن ان يكون مصدرا اساسيا لتنمية هذه القيمة ، تأمل معي في ذلك قول الرسول عليه السلام : « مثل علم لا ينفع به كمثل كنز لا ينفق منه في سبيل الله » .

٣ - يذكر الدين العلماء دائها بحدودهم التي اختاروها لانفسهم - فلا ينبغي ان يتجاوزوها - والا دخلوا في غيبات يصعب عليهم تناولها بوسائلهم .

عالم الطبيعة ( عالم الشهادة ) مفتوح امام العلماء ليجتهدوا فيه اما عالم ما وراء الطبيعة ( عالم الغيب ) فلا مجال امام العلماء للبحث فيه ، تأمل معي ما يتعلق بالروح : « ويسألونك عن الروح ؟ قل الروح من امر ربي ، وما اوتيتم من العلم الا قليلا » - ( الاسراء : ٨٥ ) .

فالدين يحفظ العلم ويجنبه ان يتوه في دروب الغيبات ، وبالتالي يفتقد هويته التي ظل محتفظا بها لسنوات طويلة .

٤ - وأخيرا - قدم الدين للعلم آيات تتناول مسائل من صميم العلم ذاته بلغ عددها ما يقارب سبعمائة وخمسين آية (٢) في القرآن الكريم ، فماذا يمكن ان تقدم هذه الآيات للعلم ؟ . .

(١) راجع ما سبق ان ذكرناه عن حيادية العلم وذلك ضمن حديثنا

عن حدود العلم .

(٢) سوف نتناول موضوع التفسير العلمي لهذه الآيات في الفصل

القادم ( السادس ) .

الا يمكن أن ترشّد بعض هذه الايات العلماء في بحوثهم ؟ ..

★ انظر مثلا قول الله — سبحانه وتعالى — : « ثم استوى الى السماء وهي دخان » — ( فصلت : ١١ ) ..

فلم يعبر بكلمة وهي سحب أو وهي بخار مثلا ، فيكون في تخصيص تشبيهها بالدخان اشارة قوية محدودة الى اهل العلم يستدلون بها على خصائص هذه المادة وهي أنها كانت مثل الدخان مادة مفككة وخفيفة ومنتشرة في الفضاء كانتشار الدخان أو الغاز أو السحاب ، وأنها كانت مظلمة وساخنة الى حد ما ، وأنها كانت تحوى دقائق أنواع المادة المختلفة (١) — ( حنفى أحمد — ١٩٨٠ ) .

وبعد أن عرضنا ما يمكن أن يقدمه الدين الاسلامى للعلم ، ألا ترى في بعض ما يقدمه الدين للعلم علاجا لحالة اغتراب العلم (١) :

١ — ان الاسلام قد أوضح نسبة العلم البشرى وحذر من غرور أصحابه به « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » — ( الطلاق : ١٢ ) .

وفي ذلك رد على من ينظر الى العلم على أساس انه المصدر الوحيد للمعرفة الانسانية .

٢ — ان القرآن قد أكد على استحالة ان يخلق الانسان حياة ، ولا ينبغي أن يضع الانسان جهده في هذا الجانب .

٣ — ان الاسلام قد أكد على نفعية العلم وضرورة استخدامه في الخير والنفع ، وفي ذلك علاج لمييب خطير في فلسفة العلم الحديث ، والذي يؤكد ان العلم يخدم قضية الخير والشر معا .

٤ — ان الاسلام قد دعا للعلم وأكد عليه ، وفي ذلك رد على من يحاول أن يقتل من شأن العلم ، ويدعو الى هجره (٢) .

— وحان الآن دور ما يمكن أن يقدمه العلم للدين :

---

(١) راجع ما ذكرناه سابقا عن ( اغتراب العلم ) في الفصل الثانى .

(٢) حاول أن تقضى على حالة اغتراب العلم بين بعض تلامذك موظفا في تلك الدين-الاسلامى .

نقول ببساطة : ان العلم احد سبل الايمان — تأمل معى قول الله تعالى :

— « انما يخشى الله من عباده العلماء » ..

( فاطر : ٢٨ )

فقد يقوم العلم بمهمة الايمان بطريقة غير مباشرة ، والتأمل العميق في خلق الله وكونه يؤدي لا محالة الى الايمان .

تأمل معى الدكتور الكسيس كاريل — الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة وهو يتابع في معمله تطورات خلق الجنين ، وقد لاحظ ان الجنين وهو فى اسابيعه الاولى ، ولا يزال اقل من عقلة الاصبع .. قد تكون فى وسطه انبوبة لا تكاد ترى ، وانها فى لحظة محدودة قد حدثت ضمة فى وسطها ثم اعتبتها بسطة لتكون اول نبضة من نبضات هذا الانبوب الذى سيصبح قلب هذا الجنين ، وسيظل يضرب الممد الذى تحدد له — تماما — لم يتمالك ان يحبس ما انبعث من وجدانه فصاح قائلا : « هنا الله » ليدل ويعلن عن وجود آية من آيات الله فى اول ضربة للقلب ، بل وفى كل ضربة .

— والسير جيمس جينز — حجة علم الفلك — الذى لم يعرف عنه اية نزعة دينية او لهجة ايمانية بعد ان تعمق فى دراسة السماء والنجوم والانلاك قال — وهو يطوى أوراقه بعد ان انتهى ما كتبه فى علم الفلك : ان هذا الكون يشير الى مبدعه ، ويدل على صانعه ، وان ما فيه من نظام انما يدل على عقل مدبر حكيم .

— ثم تأمل معى قول عالم الطبيعة المعاصر — كاستلر — الذى يعمل حتى الان فى اكتشاف اسرار المادة وقد ألف كتابا قال فيه : « اتنا كلما أوغلنا فى دراسة المادة أدركنا أننا لم نعرف عنها شيئا ، فسوف يظل دائما شىء فيها مخفيا عنا » فلما سألوه : مخفى بمن ؟ اجاب : « الله » — ( نقلا عن توفيق الحكيم ، ١٩٨٣ ) .

وقد يقود العلم أيضا للايمان من خلال اكتشافه وتأكيدده لما حوته

بعض آيات القرآن الكريم من مسائل علمية لا تتعارض أبدا مع معطيات العلم الحديث (١) ..

الا يخدم في ذلك تفسير القرآن الكريم ؟ .

— وبعد أن ذكرنا ما يمكن أن يقدمه العلم للدين ، وما يمكن أن يقدمه الدين للعلم ، يبقى شيء آخر هو أنهما معا يمكن أن يسديا للإنسان خدمة عظيمة في شأن الكثير من قضايا الإنسان ومشكلاته المعاصرة . خذ مثلا قضية الوعي الصحى (٢) : ألم يناد الدين بالنظافة ؟ .

ألم يناد بعدم الامراط فى الاكل ؟ .. ألم يناد بالبحث عن الدواء ؟ .

ألم يناد بتجنب بعض الاشياء كالدم ولحم الخنزير ؟ .. وبعض الشروبات مثل الخمر ؟ .. الا يؤيد العلم الحديث ما ينادى به الدين ؟ .

خذ مثلا قضية أخرى مثل الخرافات : ان الدين ينهى عن التطير ، والتائم والرقى ، والاحجية ، الا يؤيده العلم فى ذلك ؟ ..

---

(١) لقد اعترف كثير من علماء الغرب بعدم وجود هذا التعارض .  
انظر مثلا : موريس بوكاى ( ١٩٧٧ ) .

(٢) انظر أحمد شوقى الفنجري ( ١٩٨٠ ) من أجل مزيد من التفاصيل عن دور الاسلام فى تيمية الوعي الصحى .